بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله، وبعد:

فإنَّ لكلِّ غائب طالت غيبته نوعَ استقبال، ولكلِّ حبيب أوشكت رجعته اهتمامًا يتناسب مع مكانته، ويتوافق مع منزلته في نفوس من يستقبل ذلك العزيز الحبيب الغائب.

وكلَّما أظهر المستقبل للزَّائر حفاوةً؛ كلَّما خصَّه بالهبات والعطايا والهدايا ما يناسب المستقبل له، فإذا جفاه وتمعَّر وجهه لثقله عنده؛ جفاه الضَّيف بدوره وأخفى عنه هداياه وعطاياه، وادَّخرها ليعطيها غيره ممَّن يحسن استقباله، ويعدُّ العدَّة للحفاوة به وإكرامه.

وإنَّ أعظم غائب منتظر أوشك أن يحلَّ بديارنا، ويحطَّ رحاله فى أوطاننا شهرُ رمضان العظيم، شهرُ القرآن، شهر الخيرات والبركات، شهرٌ كريم يأتي حاملاً معه النَّفحات الرَّبَّانيَّة، والعطاءات الإلهيَّة، شهرُ المنح والهبات، شهر محفوف بالرَّحمة والمغفرة، والعتق من النَّار، شهر التَّائبين من معاصيهم، شهر العائدين إلى ربِّهم، شهرُ عبادة يتقرَّبُ بها العبد إلى ربِّه بترك محبوباته من طعام وشراب لينال رضا ربِّه.

ولو يعلم العباد ما في هذا الشَّهر الكريم من الأجر والثَّواب؛ لتمنَّوا أن تكون السَّنة كلُّها رمضان، يقول الله ـ عزَّ وجلَّ: «**إلاَّ الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ؛ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ لأَجْلِي**» [جزء من حديث مسلم].

أتى رمضان مزرعة العباد
لتطهير القلوب من الفساد
فأدِّ حقوقه قولاً وفعلاً
وزادك فاتَّخذه للمعاد
فمن زرع الحبوب وما سقاها
تأوَّه نادمًا يوم الحصاد

ومن هذه المنح ليلة هي خير من ألف شهر، أنزل الله في ذكرها سورة كاملة.

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢

لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ [سورة القدر].

ومن هذه المنح ـ أيضًا ـ ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إذَا كَانَتْ أَوَّلُ لَيْلَة من رَمَضَانَ صُفِّدَت الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّار فَلَمْ يُفْتَحْ منْهَا بَابٌ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّة فَلَمْ يُغْلَقْ منْهَا بَابٌ، وَنَادَى مُنَاد: يَا بَاغيَ الخَيْرِ أَقْبلْ وَيَا بَاغيَ الشَّرِّ أَقْصرْ، وَلله عُتَقَاءُ منَ النَّار، وَذَلكَ في كُلِّ لَيْلَة**» [«صحيح التَّرغيب» (998)].

ولعظم هذه العطايا، ونفاسة هذه الهدايا، كان الرَّسول ﷺ يبشِّر أصحابه بقدوم رمضان وإتيانه، يشحذ هممهم ويذكي عزائمهم ويهيِّئ نفوسهم، حتَّى يحسنَ العبد التَّعامل مع فرصة العمر الَّتي قد لا تتجدَّد ولا تعود.

فعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَتَاكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ الله عَلَيْكُمْ صيَامَهُ، تُفْتَحُ فيه أَبْوَابُ السَّمَاء، وَتُغْلَقُ فيه أَبْوَابُ الجَحيم، وَتُغَلُّ فيه مَرَدَةُ الشَّيَاطين، فيه لَيْلَةٌ خَيْرٌ منْ أَلْف شَهْرٍ، مَنْ حُرمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرمَ**» [«صحيح التَّرغيب» (999)].

قال ابن رجب رحمه الله: «هذا الحديث أصل في تهنئة النَّاس بعضهم بعضًا بشهر رمضان، كيف لا يبشَّر المؤمن بفتح أبواب الجنان، وغلق أبواب النِّيران، كيف لا يبشَّر العاقل بوقت يُغلُّ فيه الشَّيطان، من أين يشبه هذا الزَّمان زمانٌ» [لطائف المعارف].

ولقد عَلمَ سلفُ هذه الأمَّة قيمة هذا الضَّيف، وأدركوا قيمة المبشَّر به، فقد نَقَلَ مُعَلَّى بنُ الفَضْلِ رحمه الله عنهم أنَّهم كانوا يدعون الله ـ جلَّ وعلا ـ ستَّة أشهر أن يبلِّغهم رمضان، ويدعونه ستَّةً أخرى أن يتقبَّله منهم».

وقال يحيى بنُ كثير رحمه الله كان من دعائهم: «اللَّهمَّ سلِّمني إلى رمضان، وسلِّم لي رمضان، وتسلَّمه منِّي فتقبَّله».

ذكر الأصفهاني: قال عبد العزيز بن مروان: «كان المسلمون يقولون عند حضور شهر رمضان: «اللَّهمَّ قد أظلَّنا شهر رمضان وحضر؛ فسلِّمه لنا وسلِّمنا له، وارزقنا صيامه وقيامه، وارزقنا منه الجدَّ والاجتهاد والقوَّة والنَّشاط، وأعذنا فيه من الفتن».

وإذا كانت هذه أقوالهم؛ فلا تسأل عن أعمالهم، وإذا كان هذا استقبالهم، فكيف هو استقبالنا لهذا الحبيب الَّذي أوشك أن يصل من غيبته؟

◩ إنَّ النَّاس في استقبالهم لهذا الشَّهر العظيم على ثلاثة أصناف:

⌑ **الصِّنف الأوَّل:** يستقبلونه ولسان حالهم يقول:

مرحبًا أهلاً وسهلاً بالصِّيام
يا حبيبًا زارنا في كلِّ عام
قد لقيناك بحبٍّ مفعم
كل حبٍّ في سوى المولى حرام
إنَّ بالقلب اشتياقًا كاللَّظى
وبعيني أدمع الحبِّ سجا

يفرحون بقدومه؛ لأنَّهم يعلمون أنَّ منع النَّفس وكفَّها عن المَلذَّات في هذه الدُّنيا سبب لنيلها في الآخرة، وعلى العكس من ذلك؛ فإنَّ العصاة المُنغمسين في الملذَّات المحرَّمة، يكون انغماسهم سببًا في حرمانهم منها يوم القيامة.

ومن الأدلَّة على ذلك ما رواه أبو هريرة عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ في الدُّنْيَا لَمْ يَشْرَبْهَا في الآخِرَة إلاَّ أَنْ يَتُوبَ**» [«الصَّحيحة» (384)].

وإنَّما يُحرم من شربها يوم القيامة ـ وإن دخل الجنَّة ـ عقابًا له على شربها في الدُّنيا وهي مُحرَّمة عليه، وما يُقال في الخمر يقال في لبس الحرير للرِّجال، فعن أنس رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ لَبسَ الحَرِيرَ في الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ في الآخرَة**» [متَّفق عليه].

يفرحون بهذا الشَّهر؛ لأنَّهم يُدركون أنَّه من أعظم مواسم الطَّاعات، ويعلمون أنَّ الله يُجري فيه من الأجور ما لا يُجري في غيره من الشُّهور، فلا عجب أن يفرحوا به فرح المشتاق بقدوم حبيبه الغائب أو أعظم من ذلك.

⌑ **وأمَّا الصِّنف الثَّاني:** فهم أناس لا فرق عندهم بين رمضان وغيره، فهم يستقبلونه بقلب بارد، ونفس فاترة، وعزيمة خائرة، لا يرون لهذا الشَّهر ميزةً على غيره، إلاَّ أنَّها تمتنع فيه عن الطَّعام والشَّراب.

وهذا هو الحرمان الَّذي ما بعده حرمان، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**رَغمَ أَنْفُ رَجل ذُكرْتُ عنْدَهُ فَلَمْ يَصُلِّ عَلَيَّ، وَرَغمَ أَنْفُ رَجُل دَخَلَ عَلَيْه رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَك عنْدَهُ أَبَوَاهُ الكبَرَ فَلَمْ يُدْخلاَهُ الجَنَّةَ**» [«صحيح الجامع» (3510)].

ورحم الله المناوي إذ يقول: «رَغم أنف من علم أنَّه لو كفَّ نفسه عن الشَّهوات شهرًا في كلِّ سنة، وأتى بما وظف له فيه من صيام وقيام غفر له ما سلف من الذُّنوب، فقصر ولم يفعل حتَّى انسلخ الشَّهر ومضى».

⌑ **وأمَّا الصِّنف الثَّالث:** فهو عندهم كالضَّيف الثَّقيل، يَعُدُّون ساعاته وأيَّامه ولياليه، ينتظرون رحيله بفارغ الصَّبر، وهؤلاء إنَّما استثقلوا هذا الشَّهر وتطلَّعوا إلى انتهائه؛ لعلمهم أنَّه يحبسهم عن شهواتهم، ويَحول بينهم وبين ملذَّاتهم، فتبرَّموا به وتمنَّوا أن لم يكن قد حلَّ بساحتهم، لذلك ثَقُل عليهم.

□□□

إنَّ رمضانَ لا يستَقبَل بهذا ولا بأمثاله ممَّا يعظُم ضررُه ويقبح أثرُه، وإنَّما يستَقبَل بما عليه الصِّنف الأوَّل من النَّاس بالتَّشمير عن سواعِد الجدِّ في استباقِ الخيرات وبِعقدِ العزم على اغتنام فرصته، وفي تزكيةِ النَّفس وتهذيبها، وإلزامها سلوكَ الجادَّة وقطَع الصِّلَة بماضي الخطايَا وسابق الآثام، وانتهاج السَّبيل الموصِل إلى رضوان الله، والحظوَة عنده بالدَّرجات العُلى والنَّعيم المقيم.

قال ابن الجوزي رحمه الله: «ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه وقدر وقته، فلا يضيِّع منه لحظة في غير قُربة، ويقدِّم الأفضل فالأفضل من القول والعمل، ولتكن نيَّته في الخير قائمة، من غير فتور بما يعجز عنه البدن من العمل».

□□□

□ وإنَّ مِن أظهر ما يعين على حُسن استقبالِ هذا الشَّهر، فَهمَ المقصودِ من الصِّيام الَّذي هو كما قالَ العلاَّمة الإمام ابن القيِّم رحمه الله: «...حبسُ النَّفس عن الشَّهواتِ، وفِطامها عن المألوفات، وتعديل

قوَّتها الشَّهوانيَّة، لتستعدَّ لطلَب ما فيه غايةُ سعادتها ونعيمها، وقَبول ما تزكو به ممَّا فيه حياتها الأبديَّة، ويكسِر الجوعُ والظَّمَأ مِن حدَّتها وسَورتها، ويذكِّرها بحالِ الأكبادِ الجائعة من المساكين، وتُضيِّق مجارِي الشَّيطان من العبدِ بتضييق مجاري الطَّعام والشَّراب، وتُحبَس قوَى الأعضاء عن استرسَالها لحكم الطَّبيعة فيما يضرُّها في معاشِها ومعادِها، ويُسكِّن كلَّ عضو منهاَ وكلَّ قوَّة عن جماحه، وتُلجَم بلجامه، فهو لِجام المتَّقين، وجُنَّة المحارِبين، ورياضة الأبرارِ والمقرَّبين، وهو لربِّ العالمين من بين سائِر الأعمال؛ فإنَّ الصَّائمَ لا يفعل شيئًا، إنَّما يترُك شهوتَه وطعامَه وشرابه من أجلِ معبودِه، فهو ترك محبوباتِ النَّفس وتلذُّذاتها إيثارًا لمحبَّة الله ومرضاتِه، وهو سِرٌّ بين العبدِ وربِّه لا يطَّلع عليه سواه، والعِبادُ قد يطَّلِعون منه على تركِ المفطِّرات الظَّاهرة، وأمَّا كونه ترك طعامَه وشرابَه وشهوتَه من أجلِ معبودِه فهو أمرٌ لا يطَّلع عليه بشرٌ، وذلك حقيقةُ الصَّوم...» [«الزَّاد» (2/28 ـ 30)].

□ وممَّا يعين على استقبال هذا الشَّهر والانتفاع ببركته، أن نستقبله بتوبة صادقة خالصة نصوح، نقلع فيها عن كلِّ الذُّنوب، ونندم على ما مضى من أعمارنا في غيرِ طاعة الله، ونعاهد الله ألاَّ نعود لمعصيته.

والفرصة مواتية، فلقد «**صُفِّدَت الشَّيَاطينُ وَمَرَدَةُ الجنِّ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّار، فَلَمْ يُفْتَحْ منْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّة، فَلَمْ يُغْلَقْ منْهَا بَابٌ، وَنَادَى مُنَاد: يَا بَاغيَ الخَيْرِ أَقْبلْ وَيَا بَاغيَ الشَّرِّ أَقْصرْ، وَلله عُتَقَاءُ منَ النَّار، وَذَلكَ في كُلِّ لَيْلَة**» [«صحيح التَّرغيب» (998)].

فلنقبل على الله بقلوب تائبة، وأعمال صالحة، ولنتذكَّر أنَّنا حيال الموت قاب قوسين أو أدنى، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التحريم: 8].

قال ابن القيِّم رحمه الله: «والنُّصح في التَّوبة يتضمَّن ثلاثة أشياء:

الأوَّل: تعميم جميع الذُّنوب واستغراقها بها، بحيث لا تدع ذنبًا إلاَّ تناولته.

الثَّاني: إجماع العزم والصِّدق بكلِّيَّته عليها، بحيث لا يبقى تردُّدٌ، ولا تلوُّم ولا انتظار، بل يجمع كلَّ إرادته وعزيمته مبادرًا بها.

الثَّالث: تخليصها من الشَّوائب والعلل القادحة في إخلاصها، ووقوعها لمحض الخوف من اللّٰه تعالى وخشيته، والرَّغبة فيما لديه، والرَّهبة ممَّا عنده، لا كمن يتوب لحفظ جاهه وحرمته، ومنصبه ورياسته، أو لحفظ حاله، أو لحفظ قوَّته وماله، أو استدعاء حمد النَّاس، أو لهربٍ من ذمِّهم، أو لئلاَّ يتسلَّط عليه السُّفهاء، أو لقضاء نهمته من الدُّنيا، أو لإفلاسه وعجزه ونحو ذلك...» [«مدارج السَّالكين» (1/309 ـ 310)].

فإذا أدركت أيَّامه فاعتني بالعمل، وإيَّاك أن تتلبَّس بشيءٍ من الحوائِلِ والموانِعِ الَّتي تحول بينَه وبين قبولِه أو تُلحِق النَّقصَ فيه؛ إذ ما الفائِدة من تشميرٍ مهدورٍ أجرُه، وعمَلٍ يرجَى ثوابه فيلحقُ وِزره؟!

واعمل على اجتناب الذُّنوبِ والمعاصي ومحبِطات الأعمال وإعفاف الجوارح.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أنَّه لا يتمُّ التَّقرُّبُ إلى اللّٰه بترك هذه الشَّهواتِ المباحة أصلاً في غيرِ حالِ الصِّيام إلاَّ بعد التَّقرُّب إليه بتركِ ما حرَّم اللّٰه في كلِّ حالٍ كالكذب والظُّلم والعدوان على النَّاس في دمائِهم وأموالهم وأعراضهم، ولهذا قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ وَالجَهْلَ فَلَيْسَ للّٰه حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**» [رواه البخاري].

□ **وممَّا يعين على استقبال هذا الشَّهر واغتنام بركاته: بذل الجهد لتخليص النَّفس من مخدِّر الإلف والعادة؛** ذلك لأنَّ من أعظم آفات العبادات هذه الآفة، فعندما يعتاد المرء العبادة ويألفها، تصبح جزءًا من برنامجه اليوميِّ كالصَّلاة، والأسبوعي كالجمعة، والسَّنوي كرمضان والحجِّ، وتتحوَّل هذه العبادات إلى مجرَّد أفعال وأقوال متكرِّرة لا تضيف جديدًا إلى حياة الفرد.

وهذه مشكلة واقعيَّة نتعرَّض لها جميعًا بلا استثناء، فهل هناك

حلٌّ لهذه المشكلة؟

الحلُّ هو ما أرشدنا إليه رسول اللّٰه ﷺ في حديث أبي أيُّوب الأنصاري قال: جاء رجل إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: عظني وأوجز، فقال له: «**إذا قُمْتَ في صَلاَتك فَصَلِّ صَلاَةَ مُوَدِّعٍ، وَلاَ تَتَكَلَّمْ بكَلاَمٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ غَدًا، وَاجْمَعْ الإِيَاسَ مِمَّا في أَيْدِي النَّاسِ**» [«صحيح الجامع» (743)].

فلنحاول العمل بهذا الدَّواء لنفس تلك المشكلة في شهر رمضان، فكم منَّا من قد أَلِفَ مرور هذا الشَّهر عليه، حتَّى اعتاد على الصِّيام والقيام والصَّدقة وتفطير الصَّائمين وقراءة القرآن، فما أصبحت هذه العبادات العظيمة تسمو بالنَّفس في أفق الإيمان ولا تحلق بها في أجواء الخشوع، والسَّبب مرَّة أخرى الإلف والعادة.

فليكن صيامنا له صيام الرَّجل المودِّع.

إنَّنا نصوم في كلِّ سنة وهمُّنا أن نبرئ الذِّمَّة ونؤدِّي الفريضة لا غير، فليكن همُّنا في هذا العام أن نحقِّق معنى الصَّوم الحقيقيِّ، وأن نتحصَّل على ثمرة الصِّيام الَّتي أشار إليها ربُّنا سبحانه في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ].

إنَّ اللّٰه يريد منَّا بصيامنا اكتساب التَّقوى، فلنحاول جاهدين أن نصوم عن الحرام كما نصوم عن الحلال، ولتصم أيدينا وأرجلنا وأعيننا وآذاننا وقلوبنا كما صامت بطوننا وفروجنا، ليكن صيامنا هذا العام مختلفًا عنه في السَّنوات الماضية، ولنصم إيمانًا واحتسابًا حتَّى يغفر اللّٰه لنا ما تقدَّم من ذنوبنا، فقد قال: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**».

□ **وممَّا يعين على استقبال هذا الشَّهر وجني ثماره أن يتذكَّر العبد أنَّه إنَّما خلق للدَّار الآخرة،** قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾ [سُورَةُ العَنكَبُوتِ]، وأنَّ الدُّنيا إنَّما هي مزرعة الآخرة، وهذه الحقيقة توجب للعبد استغلال اللَّحظات والدَّقائق والثَّواني، استغلالاً تامًّا، فما من لحظة تمرُّ في طاعة اللّٰه، إلاَّ كانت ممَّا ينعم بها العبد يوم القيامة، وما من فترة تمرُّ في معصية اللّٰه أو تقصير في عبادة

اللّٰه إلاَّ ووجد بها حسرة يوم القيامة.

قال الصَّحابيُّ الجليل عبد اللّٰه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي».

وتأمَّل في هذا الحديث العجيب المشعر بجلال نعمة إدراك رمضان جديد، والمشعر ـ أيضًا ـ بعظيم المسؤوليَّة الملقاة على كلِّ مسلم يكتب اللّٰه له عمرًا ليدرك شهر رمضان.

عن طلحة بن عبيد اللّٰه أنَّ رجلين من بلي قدمَا على رسول اللّٰه ﷺ وكان إسلامهما جميعًا، فكان أحدهما أشدَّ اجتهادًا من الآخر فغزا المجتهد منهما فاستشهد، ثمَّ مكث الآخر بعده سنة ثمَّ توفِّي، قال طلحة: فرأيت في المنام بينا أنا عند باب الجنَّة، إذا أنا بهما فخرج خارج من الجنَّة، فأذن للَّذي توفِّي الآخر منهما ثمَّ خرج، فأذن للَّذي استشهد ثمَّ رجع إليَّ فقال: ارجع فإنَّك لم يأن لك بعد.

فأصبح طلحة يحدِّث به النَّاس، فتعجَّبوا لذلك، فبلغ ذلك رسول اللّٰه ﷺ وحدَّثوه الحديث، فقال: «**منْ أَيِّ ذَلك تَعْجَبُونَ؟**» فقالوا: يا رسول اللّٰه! هذا كان أشدَّ الرَّجلين اجتهادًا ثمَّ استشهد، ودخل هذا الآخر الجنَّة قبله، فقال رسول اللّٰه ﷺ: «**أَلَيْسَ قَدْ مَكَثَ هَذَا بَعْدَهُ سَنَةً؟**» قالوا: بلى، قال: «**وَأَدْرَكَ رَمَضَانَ فَصَامَ وَصَلَّى كَذَا وَكَذَا مِنْ سَجْدَة في السَّنَة؟**» قالوا: بلى، قال رسول اللّٰه ﷺ: «**فَمَا بَيْنَهُمَا أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**» [«صحيح سنن ابن ماجه» (3185)].

□ **وممَّا يعين على حسن استقباله والتَّنعُّم بخيراته: التَّأسِّي بالنَّبيِّ ﷺ وصحبه الكرام.**

فلقد كان صيام رسول اللّٰه مُزدانًا بقراءة القرآن، والصَّلاة والتَّقرُّب إليه بصنوف العبادات، وألوان من الطَّاعات، فقد كان يجتهد فيه ما لا يجتهد في غيره، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان رسول اللّٰه ﷺ يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره...» [رواه مسلم].

القرآن سميره، والجود بستانه، فعن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان النَّبيُّ ﷺ أجودَ النَّاس، وكان أجودَ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه كلَّ ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلَرَسُولُ اللّٰه حين يلقاه جبريل أجود بالخير من

الرِّيح المرسلة» [متَّفق عليه].

والصَّلاة أنسه، والذِّكر ميدانه، يقوم اللَّيل حتَّى تفطَّرت قدماه بالدَّم، ومع ذلك إذا أقبل رمضان ضاعف من اجتهاده، وخصوصًا العشر الأواخر منه حتَّى قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كان رسول اللّٰه ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا اللَّيل، أيقظ أهله، وجدَّ، وشدَّ المئزر» [متَّفق عليه].

بل إنَّ كلَّ ما دلَّ عليه قوله ﷺ، كان عليه فعله ﷺ.

□□□

ولقد أدرك السَّلف والتَّابعون لهم بإحسان سرَّ عظمة العمل الصَّالح في رمضان، فطاروا بأعجبه، وأخذوا بأحبِّه.

فقد نقل ابن رجب هذا عنهم في «لطائف المعارف» فقال: «كان بعض السَّلف يختم في قيام رمضان كلَّ ثلاث ليال، وبعضهم في كلِّ سبع، منهم قتادة، وبعضهم في كلِّ عشر، منهم أبو رجاء العُطاردي، وكان السَّلف يتلون القرآن في شهر رمضان في الصَّلاة وغيرها، كان الأسود يقرأ في كلِّ ليلتين في رمضان... وكان قتادة يختم في كلِّ سبع دائمًا، وفي رمضان في كلِّ ثلاث... وكان قتادة يدرِّس القرآن في شهر رمضان، وكان الزُّهريُّ إذا دخل رمضان قال: «فإنَّما هو تلاوة القرآن وإطعام الطَّعام...»».

قد استهواهم رمضان بجماله، وأسرهم بعظيم ثوابه ونواله، كيف وهم قد وعَوا: «**إذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ**»؟!

إنَّهم أناس زكت عقولهم، وصانوا أنفسهم، واستثمروا أوقاتهم، وسارعوا إلى مرضاة ربِّهم، فهم على الطَّاعة مستمرُّون، وللمواسم الفاضلة يغتنمون، وبأعمالهم إلى الجنَّة يتسابقون، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾ [سُورَةُ المُطَفِّفِينَ].

جعلني اللّٰه وإيَّاكم ممَّن يحسن استقباله، وممَّن يجتهد فيه للتَّقرُّب إلى اللّٰه عزَّ وجلَّ، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه، والحمد للّٰه ربِّ العالمين.

□□□

سلسلة مطويات الفضيلة ①

كيف نستقبل رمضان

ياسين شوشار
إمام خطيب - الجزائر العاصمة

دار الفضيلة للنشر والتوزيع